الفصل الخامس

الارتقاء الشخصي

متحمسًا أكمل مراد كلامه ... قائلاً :

" في مرحلة شبابنا حيث تتزاحم الأحلام على عتبات عقولنا ، يسيطر علينا جميعًا حلم " كيف سيكون حالي عندما أغدو رجلاً كبيرًا" . فكيف كنت تتصور نفسك في رجولتك ؟"

"من أي جانب ؟ إنه سؤال مركب تصعب الإجابة عنه بشكل مباشر"

"أعرف ذلك، لكن دعنا نحدد الأشياء الهامة التي يملكها الإنسان ، وعليه أن يهتم بها وينميها ، ومادمنا نركز على تربية الأبناء ونريد أن نعود إلى موضع الأب الذي لا يتنح جانبًا ، فدعني أعدل سؤالي : مَن هو الأب الذي أردت أن تكونه ؟"

أخذت نفسًا عميقـــــًا ، خرج بزفرة ساخنة شعرت بلهيبها بين ضلوعي وقلت :

"كان حُـلمي أن أنجب أبناءً يحترمون أباهم وأمهم، ويقدسون البيت والحياة فيه، يحبون بعضهم، يتحملون المسئولية، يتعاونون ..... وكثيرًا من هذه الأمور"

ابتسم ابتسامة لها مغزى ، وتابع :

"إنك تقع في المشكلة الأبدية التي يقع فيها الجميع ، لقد وضعت العربة قبل الحصان كما يقولون"

مذهولاً قلت " ما معنى هذا ؟"

"لقد سألتك عن أبوتك وكيف تريدها أن تكون لكي تكون راضيًا، فإذا بإجابتك تنصب كلها على أبنائك، وهذه هي المشلكة القائمة أننا نطلب من أبنائنا أن يكونوا كما نريد دون أن نفهم أن الأمر يبدأ عندنا وينتهي عندهم. بمعنى .... أنه لكي يصل أبناؤنا إلى ما نريد لابد لنا أن نكون على مستوى تلك النتيجة ، لقد درسنا جميعا معادلات الكيمياء ونعرف أنه لابد لاكتمال المعادلة من دخول عناصر بنسب معينة ومحددة لتخرج النتائج التي نريدها أليس كذلك ؟"

" بالطبع"

obeikandi.com

"لذا ، أخبرني ... لكي يكون أبناؤك على هذا الوصف ماذا فعلت أنت لهم لكي يكونوا كما تريد"

"لقد فعلت لهم كل شيء ، بل ومنحتهم أكثر من غيرهم ، أليس جزائي أن يكونوا كما أريد ؟! . لم يأت واحدٌ منهم يومًا يطلب شيئًا إلا ووفرته له ، لا أكون مبالغًا لو قلت لك أن لكل واحد منهم حساب في البنك يكفيه ليبدأ حياته بداية مريحة جدًا ولن يجد أحدهم عناءً في أي شيء"

"جميل جدًا أن يجد الأبناء أبًا مثلك ، إنَّك تبذل أقصى ما تستطيع لراحتهم، لو كنت مكانهم لبالغت في احترامك وتقديرك، ولكني لست مكانهم للأسف .. ولكن انتظر لحظة يا عزيزي. هل تعتقد أن ما تفعله معهم صحيح ؟ بمعنى أننا إذا وجدنا من يفعل لنا كل شيء ، هل سنسارع في احترامه وتقديره ؟ ، وكيف سنعرف معنى الاحترام والتقدير ، من الذي سيعلمنا ذلك ؟ ، الله سبحانه وتعالى لم يعطنا كل شيء في الحياة ، هل تعرف إنسانًا أعطاه الله كل شيء في الحياة ؟!"

" كلا بالطبع"

obeikandl.com

"بالفعل ، فلو أخذ الإنسان كل شيءٍ لن يشعر بقمية أي شيء"

لم يفتأ يذهلني هذا الرجل بإسقاطاته التي لم تكن تخطر لي على بال ، تفكرت في كلامه حائرًا ، وردَّد لساني ذاهلاً "إذا أخذ الإنسان كل شيء لن يشعر بقمية أي شيء"

"هل تعني أنني بهذا الفعل لم أكن أحسن لأبنائي ؟"

"على العكس تمامًا، فمع انتشار هذا التفكير بين الآباء، إلا أنني أؤكد لك أنه أكبر عامل هدم في بيوتنا، بل وأكبر خطأ يقع فيه الآباء والأمهات أن يمنحوا أبنائهم كل شيء ، ولطالما قابلت نوعيات عديدة من المشاكل بين الآباء والأمهات وبين الأبناء، وكان أول ما يقوله أي أب أو أي أم – لقد أعطيناهم كل شيء .. فهل هذا جزاؤنا – فأرد عليهم بكل بساطة نعم هذا جزاؤكم، إن الآباء الذين يمنحون كل شيء لأبنائهم يعلمونهم التمرد وعدم التقدير ، ويبدأ الأولاد في ممارسة ذلك مع أقرب الناس إليهم ألا وهم آباؤهم ، هل تريد دليلاً على ما أقول لكي تتضح لك الأمور ؟"

"نعم"

obeikandl.com

" قال تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ فالإنسان عندما يستغني ويشعر أنه يملك كل شيء وأنه لامستحيل، يبدأ في الطغيان ، وهذا ما يحدث للآباء والأمهات ، يوفرون كل شيء لأبنائهم ، فيقابلون بطغيان وتمرد وإنكار للجميل من جانب أبنائهم "

"يا إلهي هل تعني أنني ولمدة ٢٥ عاماً كنت أربي أبنائي بطريقة خاطئة؟ ، وأنني كنت أغرس فيهم تلك الأخلاق التي أعاني منها الآن ... لا أدري ماذا أقول لك، لكن ... ما العمل ؟"

"أن تصلح ما أفسدت، على كل الآباء أن يدركوا جيدًا أنَّ معظم أخطاء أبنائهم نابعة من سوء تربيتهم من الأساس ، حتى وإن لم يقنعوا أنفسهم بذلك واختلقوا الحيلة النفسية القديمة التي تقول " إنها مشكلة الجيل ، وليست مشكلتنا نحن " وقد قرأت ذات مرة عن والد كتب لصديقه يخبره " لقد فسد أولاد هذا الزمان ، لأنهم ليسوا كما كنا نحن " وفوجئت بأن الكاتب يقول أنها كتبت في عهد الفراعنة"

"لكنَّ الزمان يتغير بالفعل، وآباؤنا لم يتعبوا معنا هكذا، ونحن

obeikandl.com

نحمل لهم كل الود والاحترام والتقدير"

"هل أعطاك والدك كل شيء؟ هل بالغ في إرضائك؟ هل كانت كل طلباتك مجابة؟ ، هل كنت ترتدي أحسن الثياب وتأكل أحسن مأكل وتشرب ما تشتهي؟"

"كلا بالطبع، فلم يكن والدي على قدر من الغنى يسمح بذلك"

" وهل أفسدك هذا الوضع أم ساعدك وأصقل مواهبك ، وجعلك تتحمل المسئولية، حتى الحكمة تقول "بعض القتل إحياء للجميع " وأيضًا " بعض الحرمان عطاء "ولن يدرك قيمة الصحة إلا من ابتلاه الله بالمرض"

"لكنني لا أريدهم أن يتعبوا مثلي ، أريد أن أجعلهم في مستوى أفضل، وألا يشعروا بالإحباط الذي كنت أشعره به قديمًا ، من عدم قدرتي على لبس أفضل الثياب وأكل ما أشتهي،ودخول أفضل مدارس .. وما إلى ذلك"

" وماذا كانت النتيجة ؟، عدم اهتمام ولامبالاة ، وأنانية مفرطة

open-kandil.com

من جانب الأولاد ، وما السبب ؟ إنه ذلك التفكير السائد بين الآباء والأمهات ، لكنه تفكير فاسد وأكبر دليل على فساده ، ما تراه من حال أولادنا"

" ولكنَّ آباءنا كانوا لا يحرموننا ، وإنما لم تساعدهم ظروفهم على أن يعطوننا كل شيء ، فالأمر غير مقصود على كل حال"

" بالفعل لكنه كان سبب تحملنا لمسئوليتنا ، وأتفق معك أن الأمر الآن في غاية الصعوبة وذلك أن يكون عندك من القوة والفهم ما يجعلك تعرف متى تمنح ومتى تحرم أبناءك"

" إذن فالأمر يعني أن الخطأ من جانبي ولابد أن أصلح نفسي أولاً"

" بالفعل، ولكن لا تقلق فالأمر لن يكون صعبًا كما تظنه ، وحالك الآن يحكي حال من ينتظر التغيير بل ويريده بكل جوارحه ، ولكي نبدأ دعني أخبرك بأجلِّ نِـعَـــم الله عليك والتي يبدأ عندها نموك الشخصي وينتهي ، وقبلها أن تكون أنت مسئولاً عن حياتك"

" وهل هناك إنسان غير مسئول عن حياته ؟!"

"المسئولية تعني أكثر من التحمل المادي ، إن لها أبعادًا أكثر تأثيرًا على الإنسان ، إن معظمنا يعيش طوال حياته وهو يلقي اللوم على الظروف والآخرين ، فالموظف يلقي اللوم في عدم تقدم العمل على المدير المستبد ، والمدير يلقي اللوم على الموظف الكسول، والطلاب يلقون اللوم على المعلمين ، والمعلمون يلقون اللوم بالتأكيد على هؤلاء الطلاب المتهاونين ، والأب والأم يلقيان اللوم على الأبناء ، والأبناء يفعلون العكس ..... وهكذا أصبحنا محترفين في فن إلقاء اللوم، وهذا تنصل من المسئولية"

نظرات عينيّ الثابتة أخبرته بما يدور في ذهني فأكمل موضحًا :

"أضرب لك مثالاً ... ماذا لو كنت طفلاً لأبوين سعيدين ، متفاهمين ، علاقتهما تغلفها الثقة ، حديثهما كالماء العذب ، مبدأ الحياة بينهما هو الاتفاق وعدم الاختلاف ، يهتمان بصحتك وتمارس معهما الرياضة في البيت ، يقرآن لك دومًا ، يعلمانك الأخلاق الحسنة، أحوالهما المادية متوسطة أو عادية ، لم يساعداك في حياتك ماديًا ، وإنما ساعداك معنويًا ، فهل سيجعلك هذا شخصًا متزنًا سعيدًا؟

"بالتأكيد ، وإنني لأود أن أكون هذا الرجل" قلتها حالمًا .

" إنه شخص مسئول أليس كذلك ؟"

" بلى"

" المسئولية ببساطة أن تعرف أنك مسئول عن نفسك ، وأنه لابد لك من أن تُحسِن في كل أحوالك ، لكي تستقيم حياتك ، أما الظروف من حولك فبعضها من صنعك فلابد أن تتحمل نتيجة أفعالك وبعضها من ابتلاء الله لك ، فلا سبيل لك في ذلك إلا أن ترضى وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس" ، وفائدة ذلك أنك ستقدم بهذا نموذجًا قد يقتدون به ، وافهم جيدًا أنني قلت قد يقتدون به ، فكونك مسئولاً لا يجعلك قدوةً أيضًا ، إنما فقط سيجعلك إنسانًا ناجحًا ، ولن تعيش بالنظرة السوداء التي يعيش بها الكثيرون من أنَّ الأقدار تعاندهم ، وأنَّ الظروف دائمًا ضدهم"

" ومتى أكون لهم قدوة ؟"

" إن الحديث عن القدوة يحتاج وقتًا طويلاً ، لكني سأوضح لك بعض ما نجهله عن القدوة ، فتفكيرنا قاصر في هذا الأمر جدًا،

لأن الكثيرين منا يرى أنه لابد أن يقتدي به أولاده لمجرد أنه يحسن التصرف شيئًا ما.

"القدوة يا صديقي لا علاقة بها بالتصرف السليم ، فقد يقتدي البعض بأصحاب التصرفات غير العقلانية"

"بالفعل فأبنائي يقتدون بالمشاهير وبأصحاب الموضة ، وما إلى ذلك"

"وهذا يؤكد كلامي ، القدوة تنبع من الإعجاب الذي يصل بك إلى التقدير ثم الحب ، وهذا يفسر ما نراه من اقتداء أبنائنا بمن لا نرضى عنهم ولا عن حياتهم ، ويفسر أيضًا لماذا لا يقتدون بنا"

قال جملته الأخيرة تلك وهو يبتسم ابتسامة لها معنى واضح ، فأطرقت ثم قلت :

"لأننا لا نعجبهم فإنهم لا يقتدون بنا ، هذا ما تقوله بين السطور"

"إنَّ الأمر لا يتوقف عند الإعجاب بل ينتهي إلى الحب ، وأبناؤنا لا يحبوننا بما يقنعهم ليقلدونا ، وهذا كله وصف لأي قدوة أما أن

obeikandi.com

تكون قدوة صالحة لأبنائك فلابد لك من عاملين :

الأول : أن تكون شخصية مقنعة ومؤثرة ومحبوبة .

الثاني : أن تكون رسالتك سامية وأهدافك واضحة .

ولكي لا يتشعب بنا الحديث عليك التركيز على كونك مسئولاً ، وأن حياتك من صنعك ، واتخذ من الصبر والرضا سلاحًا"

" وماذا بعد من الأمور الهامة التي تبني شخصيتي"

" إنني أُشَبِّهُ الإنسان بالطائر ، وجسد الطائر عبارة عن خمسة أجزاء . أليس كذلك ؟"

" نعم .. الرأس والذيل والجناحان والجسد ، ولكن ماذا تقصد بأننا نشابه الطائر ، ما تلك الخمسة أمور الهامة عندنا ؟"

" رائع ، أولاً : الرأس والذي أمثله بالدين ، فالإنسان منا يحتاج إلى الدين كالرأس من جسد الطائر ، وهل رأيت طائرًا يعيش بدون رأس ؟ بالطبع سيموت ، وكذلك الدين بدونه لا قيمة للإنسان، لذا يتعين على الإنسان أن يحافظ على دينه ، وأن يسعى سعيًا دؤوبًا

لإصلاح نفسه وللتحلي بالأخلاق الحسنة ، وأن يزيد علمه ، ومقياس ذلك أن يزيد يومًا بعد يوم ، والدين يحفظ الإنسان والزوجة والأولاد أيضًا وغيابه يجعل البيت بيتًا مظلمًا ، عليه غضب من الله"

" وثانيًا ؟"

" الجناح الأول هو : العقل ، وهو من أعظم نِعَم الله على الإنسان وكلنا يهمله ولا يحافظ عليه"

" وكيف يهتم الإنسان بعقله ؟"

بابتسامة ملأت وجهه قال "هل تريد قدحًا من الشاي ؟"

" نعم"

صب لنا قدحين ناولني واحدًا وأخذ الآخر ثم قال :

" بأن تغذيه ، وغذاء العقل هو القراءة ، فالقراءة تفتح الآفاق، وتنمي القدرات ، وتحمل لك العديد من الخبرات ، كما تساعد بشكل مباشر في زيادة ثقتك بنفسك وتقرب منك الجميع ، فالناس يقتربون من صاحب العلم"

obeikandl.com

" هل تعرف متى كانت آخر مرة قرأت فيها كتابًا ؟ من خمس سنوات تقريبًا"

" وأنت صاحب شركة كبيرة وعندك العديد من الموظفين ، وتريد التأثير فيهم وفي أبنائك ، بل وتريد أن ترتقي بأمتك ، ومع كل ذلك لا تعير الكتاب اهتمامًا ؟"

مع كل كلمة من كلامه كنت أشعر بوخز في صدري ، واحمر وجهي من الخجل ، هل هذا هو حالي وأنا في هذا الوضع ؟! ومدافعًا عن نفسي قلت : " لكنني لا أحب القراءة ، ولم تكن من هواياتي"

" إنه فهم مغلوط يا عزيزي ، فالقراءة ليست هواية ، القراءة هي الحياة من لا يقرأ إنسان ميت"

" وثالثًا ؟"

"الجناح الثاني : الجسد ، تلك المعجزة الإلهية ، التي وهبنا الله إياها ، ولم نشغل أنفسنا بالاهتمام بها ورعايتها ، وذلك لاعتقادنا أنها منحة دائمة ، تستمر في دعمنا لنهاية العمر ، لكننا نفاجأ بالأمراض تقتحمنا وتنغص علينا حياتنا"

ما إن سمعت كلماته حتى دار بصري لا إراديًا ليشاهد جسدي أو قل ليشاهد تلك الكيلوجرامات من الشحم الزائد التي يمتلئ بها جسدي ، والتي عبثًا حاولت التخلص منها ، لذلك قلت :

" إنني أجد هذا الجزء أصعب الأجزاء"

" بالفعل ، لأنه يتعارض مع شهوة من أقوى الشهوات المسيطرة على الإنسان ألا وهي شهوة الطعام ، لكن مع التدريج ووضع خطة مناسبة ستتاح لك فرصة السيطرة ، كما أنه لا ينبغي على الإنسان أن يحرم نفسه مما يحبه"

"ورابعًا ؟"

"جسد الطائر : الوقت ، الوقت هو حياة الإنسان ، هو دليل وجودنا ، وهو أكبر عامل مساعد ، لكننا نفرط فيه بغرابة شديدة وكما قال الشاعر :

الوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أهون ما عليك يضيع

في كل مكان، هنا وهناك ناس يضيعون أوقاتهم ، بل ويتباهون بذلك، حتى تنفد طاقاتهم في غير المفيد"

obeikandl.com

"وخامسًا ؟"

"ذيل الطائر: الناحية الاجتماعية ، والتي تمثل علاقاتك بالآخرين ، وارتباطاتك بالغير ، تعاونًا ومشاركة ، هل تتمتع بصفات جيدة يحبها الآخرون ؟ ، أم أنك شخص غير محبوب لصفاتك السيئة التي تبغض الناس فيك ؟"

" إنني أتحرق شوقًا للعمل ، وتملؤني فكرة كوني إنسانًا صالحًا قوة فوق قوتي ، ولكن ما نصيحتك لمن يريد البدء مثلي ؟"

"سأضع معك خطة بسيطة للبداية ، وسنراعي فيها أن لا تحمل عبءً زائدًا ، لأن الأشخاص الذين يبدؤن بقوة يقفون بسرعة ، والسبب أنه غير معتاد على ذلك وعند تغيير أي شيء فجأة ، تكتشف أنه يقاومك بشدة حتى يوهن قوتك ويضعفك لذا سنضع حدًا لتضييع أوقاتنا ، وسنبدأ يومنا بأن نذكر أنفسنا بأننا المسئولون عن حياتنا ، وأنه لابد من الإحسان إلى الآخرين ، مع خمس دقائق للرياضة وخمس أخرى للقراءة ، وتزيد بعد ثلاثة أسابيع خمس دقائق ، وتوقف عند عشرين دقيقة في اليوم للقراءة و ٢٠ دقيقة كل يومين للرياضة"

obeikandl.com

" وهل هذا كافٍ ؟"

" بالطبع وسيحدث تغييرًا كبيرًا في حياتك سترى أثره مع مرور الوقت، اجعل ارتباطك بربك ارتباط العبد الذي يراعي مولاه في كل شيء ، فالدين كما قلنا رأس الطائر هو الذي يوجِّه كل حياتنا إلى الوجهة السليمة"

" وقد انتهينا من الخمسة محاور الآن ، أليس كذلك ؟"

" بالفعل ، وأنا أسميهم أصدقاؤنا الخمسة ، وهم محاور تطويرك الشخصي"

ونظر في ساعته وقد أفزعتني نظرته فبالتأكيد سيرحل وقد سرقتنا عقارب الساعة – ألم أقل لكم أنه لابد أن نتخلص منهما – ، لكنه قال :

" الوقت يمضي سريعًا يا عزيزي ، لكن قبل أن أغادر سأحدثك عن أعداء الإنسان الثلاثة"

obeikandl.com

من قصيدة " كن أبًا ولا تتنح جانبًا"

العمـــل محدودٌ زمنًا لو زاد سيقـــل عطـــاه

والناس ترضيهم دومًا صاحب "نَعَمٍ" ما أشقاه

والتلفاز احذره وحشًا على الفكر يُطْبَقُ فكـــاه

فاحذر مما سبق عدوًا قـد يُـهلكُ مَـن يتـبـنـاه

بإفراطه قد ضيَّـع أهلاً وتاه الولـــد وفقـد وأبـاه

obeikandl.com

الفصل السادس

أعداؤنا الثلاثة

" الإفراط في أي شيء يحوله وحشًا كاسرًا ، لا تقدر على إيقافه، وأكثر إفراط منتشر في حياتنا ، الإفراط في العمل ومشاهدة التلفاز وإرضاء الناس ، ولكلٍ دوافعه وأسبابه التي تجعله أمرًا لا مفر منه في حياتنا ، ولنبدأ بالعمل .

العمل .... وما يمثله ... من حلم الرقي والمنصب والجاه ، والأموال التي تحوِّل حياتنا إلى جنة ، فالسعادة لا يناسبها الفقر، بل هو من ألد أعدائها ، وهل قابلت فقيرًا سعيدًا ؟ ، كلا بالطبع .. السعادة هناك حيث القصور والأموال والسيارات الفارهة ، والملابس الفخمة الراقية ، والمأكولات الشهية . أما عن الأبناء فالأموال ضرورية لرعايتهم ، فكيف سيدخل أفضل المدارس ، وكيف سنشتري له ما يريد ، وعندما يريد الزواج ... شقته جاهزة ، عمله في مكان مرموق ، بالمال أيضًا ..... أرأيت فائدة العمل ؟؟ إنه طريق الحصول على المال ، والمال هو ما يجعل أنفاسك معطرة بحب الحياة .

obeikandl.com

ذلك الكلام السابق ، والذي يترسخ في أذهاننا يومًا بعد يوم ، ما هو إلا ادعاءٌ نسجه خيالنا المريض ، وساعد في تبنِّيه داخل عقولنا بُعدنا عن الله وعن طريق الخير والصواب ، ولكي أثبت لك صدق كلامي ، دعني أسألك بعض الأسئلة :

" هل أنت راضٍ عن نفسك وحياتك؟ هل حقق لك المال السعادة المزعومة؟ هل جعلك المال الذي أغدقته على أولادك راضيًا عنهم ؟ وهل كانوا راضين عنك ؟"

" كلا بالطبع" قلتها والدموع تملأ عيني ، وقشعريرة تسري في جسدي ، كم تمنيت لو أقول لا ، لقد فعل لي المال الكثير والكثير، ذلك المال الذي بذلت عمري في جَمْعِه ، وكنت أظنه سيصبح سبب سعادتي ، لكن يالتعاستي الآن ، أين أنا ؟ ، أين زواجي ؟ ، أين أبنائي؟، فليذهب المال إلى الجحيم . وقلت :

"إنها بالفعل أكذوبة، لقد فعلت لأبنائي كل شيء ، ولم أصل بهم إلى أي شيء ، والمال لم يكن أبدًا سبب سعادة الإنسان"

"قطعًا يا أكرم، المال وسيلة في هذه الحياة وليس غاية في حد